مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: التغيير في المنطقة العربية وانعكاساته العوامل الخارجية
اسم الكاتب: م. طالب حسين حافظ
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/7061
تاريخ الاسترداد: 2025/04/22 01:06 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

" التغيير في المنطقة العربية وانعكاساته العوامل الخارجية "

م.طالب حسين حافظ(*)
talibhussain 51 @ yahoo. Com

الملخص

كان التغيير الذي حدث في المنطقة العربية وابتداء من نهاية العام ٢٠١٠ مفاجئا ومدوياً .وقد شغل ولا يزال الاهتمام ، المحلي والإقليمي والدولي في كافة مستوياته .

وتبحث هذه الدراسة في العوامل الخارجية التي أفضت الى هذا التغيير، بعد ان تطرقت الى البحث في ماهية ذلك التغيير والتسمية التي أطلقت عليه، فضلا عن العوامل الإقليمية المؤدية الى تلك الأحداث.

وبعد ان استعرضت تلك العوامل بالدراسة والتحليل ، بحثت في التداعيات الناتجة وسياسات القوى الكبرى تجاه المنطقة التي لم تتعرض مصالح الى تغيير يذكر.

كما بحثت الدراسة في تاثير ذلك التغيير، لا سيما ما يجري في سوريا، على الاوضاع في العراق والتي يتوقع لها ان تكون ذات انعكاسات خطيرة.

المقدمة:

كانت البداية مع قيام الشاب التونسي "محمد البو عزيزي" في السابع عشر من كانون الأول ٢٠١٠ بحرق نفسه حتى الموت في محاولة احتجاجية رمزية على سوء الاوضاع في تونس. انطلقت بعدها، محاولات احتجاجية وحركات واسعة، تطورت لتكون ثورات شعبية، متزامنة ومتدرجة، في دول عربية عدة، في ما اصطلح عليه بـ(الربيع العربي).. لتقض حكومات وتدحرج رؤوساً، فيما يزال الوضع شائكاً ومعقداً في اخرى على أمل التغيير.

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد.

هذا التغيير غير المسبوق في عنفوانه ونتائجه، لم يأت من فراغ، فله جذور تمتد الى مابعد حقبة حصول دول المنطقة على استقلالها من الاستعمار الغربي في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، واستئثار القيادات التي قادت حركات الاستغلال، او تلك التي تصدرت الانقلابات العسكرية، بالسلطة، بحجة "الشرعية الثورية" ومتطلبات المرحلة...

وكنتيجة طبيعية لمجموعة اسباب تتعلق بارهاصات ممارسة السلطة وبريقها، ثم احتكارها والاستئثار بها، وتصفية الآخرين أو عزلهم ، وتجميد الحياة البرلمانية والابتعاد عن الديمقراطية، والاتجاه نحو حكم الحزب الواحد أو القائد، والانغماس الشديد في ترف السلطة، واعادة التحالف أو الارتماء في احضان القوى الاجنبية.. فقد انعزلت تلك القوى المتسلطة عن الجماهير صاحبة الحق الشرعي في الحياة والتغيير.

ان تلك القوى الحاكمة التي وجدت نفسها في شباك خانق من ممارسة تعسفية للسلطة، قد اعطت لنفسها ضمن سلسلة واهية من الحجج اللامتناهية، حق الاستئثار بالدور الأبوي المطلق بوصفها الطليعة الواعية الممثلة لكل الجماهير، ومن ثم احتلت من جديد مكاناً أثيراً في توريث السلطة واستمرارها في الجمهوريات الملكية، بعد أن غابت بفعل حركة التاريخ ادعاءات (الحق الالهي) المقدس في الحكم.

وكانت هزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧ التي كشفت زيف وعورات الانظمة التي ساهمت في تلك الهزيمة وأدت اليها، فرصة تاريخية كبرى لتصحيح المسار، الا ان تلك القوى سرعان ماعاودت الانقلاب على نفسها ضمن استمرار الدور نفسه في الصراع على السلطة .

وعلى الرغم من مرور حقبة طويلة على ذلك، وحصول تغييرات هائلة في ميادين كافة الحياة في العالم، طالت حتى شكل النظام الدولي، الا ان تلك الانظمة المتسلطة في الدول العربية، أبت الاستجابة لمنطق العصر والتغيير.. مما وضع شعوبها في حالة مستمرة من التخلف والتردي وتوقف التنمية، في حين استحوذت مفاهيم الفساد على كل شيء نتيجة حالة غير شرعية وغير مألوفة من تزاوج السلطة والمال، فاندثرت الطبقة الوسطى، وانتعشت طبقة جديدة طفيلية بين فئة صغيرة هي الأغنى واخرى واسعة هي الافقر ، فتداخلت وضاعت القيم واختلط الخاص بالعام...

كل هذا يجري في عالم جديد غير مسبوق لايشبه ماقبله ويتعذر ادراكه ، فمسيرة العولمة وثورة المعلوماتية التي اجتاحت العالم ، وما رافقها من وسائل اتصال وتواصل ونقل ، أحدثت شرخاً هائلاً في الاسيجة والجدران التي بنتها الانظمة طيلة عقود حول شعوبها .

ثورة الاتصالات والمعلوماتية هذه ، حطمت والى الأبد تلك الجدران والنظريات التقليدية لما يسمى بسيادة الدولة القومية ، وحولت العالم الى قرية صغيرة ، تنتقل فيها المعلومة كما هي وبلا رتوش ، بين الأفراد قبل الحكام . وتدور فيها الاحداث على الشاشات مباشرة قبل الدوائر المغلقة .. فلا مجال للتغطية والتضليل . وهكذا أصبح في متناول المواطن البسيط من وسائل التواصل الاجتماعي والادراك ما لايمكن حجبه ، في ظل موجة كاسحة من التنظير لمفاهيم الديمقراطية وحقوق الانسان والحريات والتنمية ، التي غدت مفردات مترابطة متماسكة يعزز بعضها بعضاً .

وجاء انتهاء الحرب الباردة ، وتحطم الجدار الحديدي وانعتاق شعوب شرق اوروبا ودخولها في رحاب الديمقراطية الليبرالية ، ليعطي دفعة جديدة لشعوب الدول العربية لكسر حاجز الخوف والانطلاق نحو الحرية ...

ولم يكن الغرب الاستعماري بعيداً عن ذلك، فاذا كانت القوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة ، واعية بهشاشة الانظمة الحليفة لها ، ومتأكدة من طابعها التقليدي العشائري أو الاستبدادي الذي لم يعد يقبله منطق العصر ، فان التغيير أو القبول به بالنسبة لمنظري الاستراتيجية الامريكية ، سيكون وسيلة أما لتحديث الانظمة القائمة ، أو اقامة انظمة شبه حديثة تعتمد اسلوب حكم عصري على اساس التعددية الشكلية ، والوقوف ضد تغيير جذري قد يهدد مصالح الولايات المتحدة والرأسمالية العالمية واسرائيل ، وبما يضمن الهيمنة على المنطقة ومواردها وفي مقدمتها النفط ، وهذا ماصرح به ونظر له دون مواربة المحافظون الجدد في اكثر من مناسبة .

لقد آن وقت التغيير ، ولا يستطيع أحد أن يقف بوجهه . وهذا لايعني بالمطلق وبعيداً عن نظرية المؤامرة، ان واشنطن هي التي تصنع الحدث دائماً ، ولكنها قادرة بالتأكيد ، بما تملكه

من امكانيات وقدرات ومؤثرات ، على ركوب الموجة وتحريك الحدث بما يخدم مصالحها . وهذا ماحدث في اكثر من دولة عربية شهدت التغيير .

أحداث التغيير العربي لاتزال في عنفوانها ، ولم تحسم بعد لامن حيث المسار ولا النتائج، وهذا شأن كل الاحداث الكبرى في التاريخ . ولذلك من الصعب جداً اصدار احكام حاسمة أو قاطعة بصددها . فالديمقراطية وبقية الشعارات لاتولد مع التغيير في يوم واحد .

ان الثورة في التاريخ كالعاصفة في الجغرافية ، فما أن تهدأ حتى تنطلق من جديد . ولم يعد في عالم اليوم المعقد والمتشابك ، امكانية تفسير الظاهرة أو الحدث بعامل واحد مهما كانت هيمنته أو قوته . وكما هناك عوامل داخلية انضجت وقادت التغيير ، فهناك أيضاً عوامل أو أسباب خارجية (اقليمية أو دولية) ساهمت وتساهم في ذلك ، فهذه المنطقة الحساسة والمهمة في موقعها وثرواتها وحراكها ، لايمكن أن تترك هكذا تتقاذفها الاهواء والامواج .

وهذا لايعني أبداً التقليل من تضحيات ودماء الذين ساهموا أو قادوا التغيير مستندين في ذلك الى وطنيتهم ومبادئهم التي تسمو فوق كل اعتبار ...

أهمية الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى البحث في الاسباب والظروف والمتغيرات والمواقف الخارجية (الاقليمية والدولية) المحيطة بالتغييرات التي حصلت . وهي تدرك تماماً الصعوبة الكبيرة في ذلك ، نظراً لقلة المصادر والمراجع وندرة الوثائق ، اذ ان الحدث لازال في عنفوانه ، ولم يحسم بعد .. وهو يحمل في كل يوم متغيرات جديدة قد تبدو متناقضة .

فرضية الدراسة :

تنطلق الدراسة من فرضية ان العامل الخارجي لم يكن بعيداً عن الذي حدث ، ان لم يكن بالتخطيط والمشاركة ، فبالنتائج على الاقل التي لم تمس الأهداف والمصالح .

تعتمد الدراسة منهج التحليل النظمي ، وذلك من خلال الهيكلية الآتية :

١. المبحث الأول : في ماهية التغيير والتسمية

٢. المبحث الثاني : العوامل الاقليمية

٣. المبحث الثالث : العوامل الدولية

٤. الخاتمة

المبحث الأول : في ماهية التغيير والتسمية

من البداهة، ان تحديد مصطلح الدراسة والتعريف به، يشكل مدخلاً منطقياً لفهم الظاهرة موضوع البحث والاحاطة بها .

ولذا من الضروري الاتفاق أو تحديد تسمية ماحصل من تغيير او يحصل الآن في بعض الدول العربية، أو محاولة الاقتراب من توصيف ذلك : ثورة ، اضطراب ، تآمر ، تمرد ، فوضى ، ربيع عربي ...

نظرية الثورة :

لم يعد مقبولاً ادراك أو تفسير الظاهرة بواحد من العوامل او المتغيرات . وهذا ماينطبق على الثورة بوصفها ظاهرة اجتماعية / سياسية . وما يزيد الأمر التباساً ان الثورة واحدة من الظواهر الاجتماعية التي ترفض الخضوع للتحليل الموضوعي العلمي .

ان الدراسات المختلفة التي عالجت موضوع (الثورة) تنم في الغالب عن اختلاف واضح في تحديد معنى الثورة ، اذ بدا من الصعب الكلام عن معنى شامل .

فهناك من يربط الثورة بالانقلاب ، ويقول ان الثورة هي انقلاب على الواقع الفاسد . ومن الطبيعي ، فليس المقصود هنا الانقلاب العسكري ، وانما هو الانقلاب الجذري الذي يتم فيه تغيير شامل للحياة نحو الأفضل ، بدءاً من النظام السياسي .

الثورة ، هي رفض كلي للحاضر ، وذلك باسم المستقبل الذي ينبغي ان يكون مختلفاً عن الحاضر . بمعنى هي قطيعة مع الحاضر الذي يحكم بعدم القبول ، وعدم التسامح في بقائه . انها رفض جذري للوضع الحالي ، انها تعبر عن ارادة في بناء عالم اجتماعي انساني حر يختلف كلياً عن العالم الاجتماعي الانساني القائم[١] .

الثورة ، هي عملية تغيير سريع وجذري للنظام السياسي القائم وبما يؤدي للاطاحة به والنخب التابعة له.

---

[١] د. عبد الرضا الطعان ، مفهوم الثورة ، ط/١ ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٦٧ .

ويعرّف " عبد الرضا الطعان " الثورة ، بوصفها المشروع الذي ينهض نتيجة تزاوج الوعي الثوري والظروف الموضوعية ، وبذلك تفعل العلاقة التي تقوم بين القوى الاجتماعية المهيمنة والقوى الاجتماعية الخاضعة ، والذي يتضمن تغيير العلاقات الاجتماعية القائمة تغييراً نوعياً ممتداً نحو المستقبل[1].

وفي الفكر العربي / الاسلامي ، يعطي " ابن خلدون " أهمية كبيرة للظواهر الاجتماعية ويرجحها على الظاهرة السياسية . ويجيز ابن خلدون ، الثورات على الحاكم الظالم المستبد . الا انه يحذر القائمين بها من مغبة احقاقها ، ويدعوهم الى ان يتبينوا درجة نضوج الظروف الملائمة للثورة ودراسة الامكانيات المتوافرة لكي يضمنوا اقصى حد ممكن من نجاحها .

ويستند تعريف الثورة في الفكر الماركسي الى الصراع الطبقي. اذ تنطلق نظرية الثورة، من تحليل الاوضاع الطبقية في المجتمع ، اذ يبلغ التناقض مداه بين علاقات ملكية وسائل الانتاج ، وقوى الانتاج: يعايش المجتمع حالة استقطاب حادة بين الطبقة المالكة لوسائل الانتاج (الطبقة الحاكمة)، والطبقة التي تشكل الأغلبية (الطبقة المحكومة) التي تتحمل اعباء التناقضات الطبقية ، فيتولد فيها وعي بضرورة قيام الثورة. ويقرن "لينين" نجاح الثورة بوجود طبقة طليعية، فيقول: " من أجل ضمان النجاح ، ينبغي ان تعتمد الانتفاضة ليس على التآمر ، وليس على حزب، وانما على طبقة طليعية"[2].

ويحدد لينين شروط الانتفاضة بالاتي :

١. النهوض الثوري .
٢. الاستناد الى تحول حاسم في تاريخ الثورة المساعدة عندما يكون نشاط الصفوف المتقدمة من الشعب أعظم من تردد صفوف العدو .
٣. الاعتماد على طبقة طليعية .

[1] المصدر نفسه ، ص ٦٨ .
[2] المصدر نفسه ، ص٢٩.

ثم هناك الوعي المتولد لدى الطبقة الاجتماعية بأنه في ظل الوضع القائم من غير الممكن توقع تحسن في احوالها . وهذا الوعي يتخذ اشكالاً مختلفة ، ولكن الوعي بحالة عدم العدالة قد يبلغ درجة أعلى فيدفع بالقوة الاجتماعية الى الخروج عن دائرة مصيرها المقدر .

ان الوعي المتقدم يصبح وعياً ثورياً في حالة واحدة فقط ، وذلك عندما يرتبط عضوياً بالصراع الطبقي . اما الوعي وحده وفي ذاته فانه لايستطيع أن يغير العلاقات الاجتماعية الواقعية، اذ لابد وأن يصبح وعياً للقوى الاجتماعية بحكم موقفها الموضوعي في المجتمع على القيام بنشاط ثوري قادر على الاطاحة بكل الممارسات والتطبيقات البالية ويمهد الارض للنظام الجديد[1] .

الثورة حسب وجهة النظر الماركسية، ليست غاية في ذاتها، وانما وسيلة لحل مهام اجتماعية واقتصادية نضجت تماماً. وما ان تفي بهذا الغرض أي تصنع بنية العلاقات الاقتصادية، والبناء الفوقي السياسي في توافق مع متطلبات التقدم حتى تؤدي بالفعل الى دعم السلطة الجديدة كأداة استكمال وتعزيز للمكاسب التي تحققت . ولا ريب ان دعم النظام الجديد من شأنه أن يستثير الطبقات المهزومة التي تحاول استعادة فردوسها المفقود .

الثورة والعنف السياسي والفوضى :

تبقى الثورة شكلاً من اشكال العنف السياسي ، الذي يعرف ، بأنه : " استخدام القوة أو التهديد باستخدامها لتحقيق اهداف سياسية " .

ويكون مصدر العنف من السلطة الى المجتمع ، أو من المجتمع باتجاه السلطة حين لاتوجد قنوات اتصال ولغة مشتركة للحوار .

ان السياسة تنطوي على العنف بعنصريه المادي والمعنوي ، لانها مقترنة دائماً بالاستيلاء على السلطة أو ممارستها .

ان اعمال العنف لايمكن ان تنفصل عن طبيعة الظروف في المجتمعات التي تحدث فيها، ولذلك لايمكن ان تؤخذ مستقلة بذاتها . ولا ريب ان الحكومات تسعى الى تحريم اعمال العنف . وأول خطوة تقوم بها في هذا الشأن ، هي أن تجعل الاعمال المذكورة غير قانونية ، كي تحفظ

[1] يوري كرازين ، علم اجتماع الثروة ، ترجمة شوقي جلال ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٤ ، ص ١٦٨ .

لنفسها الحق باحتكار وسائل العنف الكبرى في المجتمع . وعليه فان العنف لايقتصر على الافراد والجماعات وانما تستخدمه الدولة (السلطة) أيضاً بأجهزتها ووسائلها المختلفة .

وأكثر اشكال العنف السياسي شيوعاً ، هي الاضطراب والتآمر والتمرد والثورة[1] :

الاضطراب : نشاط سياسي عنيف يتميز بمشاركة جماهيرية عريضة ، وبدرجة منخفضة نسبياً من التنظيم وبمحدودية أو عدم تبلور اهدافه . ومن اكثر صوره انتشاراً ، احداث الشغب والاضرابات والتظاهرات ، وقد يحدث الاضطراب نتيجة للاحباط . وقد يكون مجرد تكتيك اذا قصد من ورائه حمل الحكومة على التورط في أعمال قمعية من شأنها دفع المزيد من الافراد الى معسكر المعارضين .

التآمر : هو استخدام القسر أو الاجبار على نطاق محدود بغية الظفر بالسلطة السياسية أو تعزيزها . واكثر مظاهر العنف التآمري شيوعاً ، هي الاغتيال ، والارهاب ، والانقلاب العسكري .

التمرد : عمل عنيف تعمد اليه مجموعة كبيرة نسبياً من الافراد بهدف احداث قدر من التغيير في النظام السياسي ويتصف التمرد بقدر يعتد به من التنظيم والاتصال .

الثورة : تختلف الثورة عن صور العنف السياسي آنفة الذكر في شمول وعمق تأثيراتها على النظام السياسي والمجتمع نفسه . انها عمل شعبي عنيف يفضي الى تحول جذري كلي لنظم المجتمع .

ان الثورة تجتاز مراحل خمس ، هي :

١ . التمهيد أو التحضير للثورة ، بمعنى ظهور مناخ موآت لها ، قوامه غضب أو سخط شعبي عارم تولده الممارسات الهابطة أو الأداء السيء للنظام القائم .
٢ . انهيار أو تداعي النظام القائم .
٣ . تقويض العلاقات والروابط القديمة .
٤ . تشييد علاقات جديدة .
٥ . استقرار النظام الجديد .

[1] **محمد محمود ربيع واسماعيل صبري مقلد ، موسوعة العلوم السياسية ، جامعة الكويت ، الكويت ، ١٩٩٤، ص ٤٨٨ .**

وهنالك من ينكر اقتران الثورة بالعنف ، على اساس ان التغيير الثوري يتم ليس بالضرورة عن طريق القوة والعنف ، كما انه ليس من الصواب أن يعد العنف هو المميز البارز للثورة[١] .

أما الفوضى ، فهو مفهوم سياسي يستعمل لوصف السلوك والظواهر السياسية مثل الحروب ، والثورات ، وعدم الاستقرار السياسي ، والمشكلات السياسية البسيطة والمعقدة . وفي حالة الفوضى ، فان هناك مدى غير نهائي لامكانية التنبوء بالمستقبل . ويمكن تطوير مجموعة من البدائل التي يمكن ان تتلاءم معها ، فالفوضى لها نظام كامن . ويرتبط مسار تطور النظام في ظل نظرية الفوضى بعنصر جذب يحدد مسار التطور[٢] .

قد تبدو الفوضى مناقضة للعلم في الجوهر ، على اساس ان الفوضى ليست سوى عدم ادراك للعلاقات القائمة بين ظواهر شتى ، في حين ان العلم هو الوصول الى قوانين حاكمة لما يبدو ظاهرياً على انه نوع من التناقض والتشويش . وهنا يبرز سؤال : هل ان العالم قد تأسس على الفوضى أم على النظام ؟

وهناك "الفوضى الخلاقة" التي تنطلق من المجال المحدود الى المجال الاوسع، توظيفاً لفكرة "مايكل ليدن" في التدمير البنّاء، و"صاموئيل هانتنغتون" في الفساد المنتج .

ان مفهوم الفوضى الخلاقة ، يعني فوضى عارمة واضطرابات وتفكيك للبنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتسفيه اخلاقي وفكري للقيم عبر وسائل عسكرية وفكرية واعلامية ... وهذا ماجرى في العراق بعد غزوه واحتلاله في العام ٢٠٠٣ ، وما يراد لتعميمه في المنطقة .

وفي هذا الصدد تقول وزيرة الخارجية الامريكية السابقة "كوندوليزا رايس" في حديث مع مجلة (تايم) الأمريكية في السادس من آب ٢٠٠٦ : "ان الازمات في منطقة الشرق الاوسط

---

[١] د. عبد الحميد متولي ، الوسيط في القانون الدستوري ، منشورات الطالب ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص٨٤.

[٢] ايمان احمد رجب ، المفاهيم الخاصة بتحليل انهيار النظم السياسية ، مجلة السياسية الدولية ، العدد (١٨٤) ، ملحق اتجاهات نظرية ، القاهرة ، ابريل ٢٠١١ ، ص ١٣ ، نقلاً عن :

Joan pere Plaza and Dandoy Rigs , Choas Theory and its Application in Political science , IPSA ATSP Congress, 9-13 July 2006 .

هي دليل على نشوء شرق أوسط جديد".. و" نعم، اننا نمر في مرحلة اضطرابات وصعوبات، ولكن المتغيرات الكبرى لاتحصل دون اضطرابات وصعوبات " .

التغيير والاحتجاج :

يرنو البعض الى إطلاق تسمية (حركة اجتماعية) على أي عمل او درجة من الاحتجاج الشعبي ، في حين ان المسميات التي تخلع على الاحداث السياسية العارضة ، لاتكتسب وزناً الا عندما تحمل تقويمات معترفاً بها على مستوى واسع وعالي القيمة ، وكذلك عندما تكون هناك نتائج واضحة تلي اكتساب الحدث لذلك المسمى ، أو اخفاقه في نيل تلك التسمية .

ويعرف البعض ، الحركات الاجتماعية بأنها : " الجهود المنظمة التي تبذلها مجموعة من المواطنين كممثلين عن قاعدة شعبية تفتقد الى التمثيل الرسمي ، بهدف تغيير الاوضاع او السياسات أو الهياكل القائمة ، لتكون اكثر اقتراباً من القيم التي تؤمن بها الحركة"[١].

أما " هربرت بلومر " ، فيعرّف الحركات الاجتماعية ، بأنها ذلك الجهد الجماعي الرامي الى تغيير طابع العلاقات الاجتماعية المستقرة في مجتمع معين .

ويمكن تعريف حركات الاحتجاج الاجتماعي من خلال عناصرها ، بوصفها قياما بعدد من الانشطة للدفاع عن مبدأ ما ، أو الوصول الى هدف ما . كما تتضمن الحركة الاجتماعية وجود اتجاه عام للتغيير . وهي تشمل ايضاً مجموعات من البشر يحملون عقيدة أو افكار مشتركة، ويحاولون تحقيق بعض الاهداف العامة[٢].

وقد بدأت هذه الحركات في التطور في الوطن العربي مع مطلع القرن الحادي والعشرين نتيجة عوامل داخلية وخارجية عدة . وعندما انطلقت حركة التغيير في مصر بداية عام ٢٠١١ ، تم وصفها عن عمد – من قبل البعض – بأنها حركة احتجاج اجتماعي بامتياز ، لم تقترب من

[١] ربيع وهبة وآخرون، الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي،ط/١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١١، ص ٣٠ .
[٢] المصدر نفسه ، ص ص ٤٠ – ٤١ .

المجال السياسي . وانها حركات اجتماعية في ثوب جديد منفصلة عن الحركات السياسية ، ولكن المفارقة انها قد تجد نفسها على غير ما خططت ، طرفاً (ولو غير مباشر) في التأثير في معادلات سياسية جديدة ، بضغطها غير المباشر على مجموعة لجنة السياسات ، واتهامها بأنها المسؤولة عن السياسات الاقتصادية التي تحتج عليها .

كان هذا الوصف مقصوداً ، كي يتم احتواء التحرك ومنعه من التحول الى ثورة شعبية ، ولكن الرياح جرت بما لاتشتهي سفن النظام .

الربيع العربي :

اطلق هذا المصطلح على حركة التغيير التي شهدتها بعض البلدان العربية ، وقد تباينت الاراء حول هذا المصطلح ومصدره وصحته . فهناك من عدّهُ مصطلحاً غربياً غير دقيق في مدلولاته الحقيقية ، وهناك من عده كناية عن معنى الشباب والتجدد .

لم تكن بداية التغيير في فصل الربيع : انطلقت أحداث تونس في اواخر الخريف (٢٠١٠/١١/١٧) ، في حين انطلقت في مصر مع بداية الشتاء (٢٠١١/١/٢٥) .

ان الربيع يقترن في الحقيقة والخيال ، بالخصب والحياة ، ولكنه في واقع الاحداث التونسية اقترن بالحرق والدماء والرماد عندما اشعل الشاب التونسي البو عزيزي النار في جسده .

يؤكد البعض ان هذا المصطلح ليست له جذور عربية ، وانه يعود الى أدبيات الحراك الاوروبي في القرن التاسع عشر ، وبالتحديد الى صدور البيان الشيوعي في العام ١٨٤٨ ، ومن ثم في ربيع ١٩٦٨ عند دخول القوات السوفياتية الى براغ في ما عرف بـ (ربيع براغ) . وهناك من يربط التسمية بالصحفي الفرنسي "بينواست ميشان" الذي ألف في نهاية الخمسينيات من العقد الماضي كتاباً تحت عنوان (الربيع العربي)[١] .

كما انه من غير الانصاف ، ربط المصطلح بفئة الشباب التي قادت حركات الاحتجاج، اذ ان جميع الفئات العمرية شاركت بقوة في حركة التغيير .

وعند اندلاع الاحداث ، اطلقت صحيفة (Christian Science Monitor) الامريكية هذا الوصف يوم ١٥ كانون الثاني ٢٠١١ ، في حين استخدمها الصحفي الفرنسي "

[١] صحيفة المشرق ، بغداد ، ٩ شباط ٢٠١٣ .

دومنيك مويزي " بعد اندلاع الأحداث في مصر يوم ٢٦ كانون الثاني ٢٠١١[١]. وبغض النظر عن التفسيرات المختلفة ووجهات النظر عن المصطلح واستعمالاته ، فانه يشير الى خلع القديم واستبداله بجديد . ان تعبير (الربيع العربي) كان ومازال تعبيراً مجازياً، غير ان مجازيته لم تنف حقيقة كسر الناس حاجز الخوف مع السلطة . وفي دلالات هذا علينا ان لاننسى ان حرب العراق /٢٠٠٣ ، ابتدأت مع عشية العيد الرسمي للربيع في العراق .

ان الثورة لاتولد مع الديمقراطية في يوم واحد . وكي تولد الثورة وتنجح وتترعرع ويشتد عودها وتنضج ، تحتاج الى مسار طويل ، وتراكم يحتمل التجربة . وهي بذلك تحفر في الاساسات المفضية الى الديمقراطية ، وان كان الطريق اليها وعراً وغير سالك أحياناً ، ولابد أن يتسم بالآليات الديمقراطية ارتباطاً بحقوق الانسان والسعي لاعلاء قيمه وحرياته الاساسية الفردية والجماعية ، وعكس ذلك ستكون الثورة تغييراً فوقياً سرعان مايتبخر[٢].

كما انه من المجازفة ، استعمال مصطلح (الثورة) على كل أحداث التغيير والانتفاضات ومحاولات الاصلاح السياسي، اذ ان الثورة عمل تراكمي لتغييرات جذرية سياسية واقتصادية واجتماعية وقانونية ...

ان هذا المسار والاتجاه نحو نجاح (الثورة) في البلدان العربية ، وتحقيق أهدافها لايرتبط بالضرورة بالعوامل الداخلية فقط ، وانما أيضاً بالعوامل الاقليمية والدولية والتي لم تكن ايجابية دائماً في تعاملها مع التغيير.

المبحث الثاني : العوامل الاقليمية

لم يكن التدخل أو التأثير الاقليمي في احداث التغيير التي عصفت في المنطقة العربية منسجماً أو متماثلاً ، لجملة اسباب تتعلق بطبيعة النظام العربي نفسه ، وارتباطاته وعلاقاته مع القوى الدولية ، بمعنى انه كان في بعض مفاصله صدى لسياسات تلك القوى .

ولايقتصر التدخل الاقليمي الفاعل في الاحداث على بعض الدول العربية (المملكة العربية السعودية ، وقطر) وجامعة الدول العربية ، بل يمتد وبصورة اكثر تأثيراً الى تركيا وايران .

---

[١] د. عزمي بشارة، في الثورة العربية والقابلية للثورة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة ، ٢٠١١ ، ص ٥٩ .

[٢] عبد الحسين شعبان ، التغيير والمأزق الحضاري ، صحيفة الزمان ، بغداد ، ٢٨ شباط ٢٠١٣ .

كان لهذه القوى الاقليمية (عدا ايران) موقفاً منسجماً مع مواقف الدول الغربية في التغيير الذي حدث في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن ، وهي الآن تندفع بنفس الاتجاه نحو التأثير في مايجري في سوريا .

وقبل الدخول في تفاصيل ذلك ، من الضروري التطرق الى بعض الاحداث والسياسات (الاقليمية والدولية) التي مهدت ، أو كان لها التأثير في مايحدث .

١ . انتهاء الحرب الباردة :

انتهت الحرب الباردة بنتائجها المعروفة ، بانتصار المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة . ومن المعروف ان لكل حرب نتائجها واستحقاقاتها . وان الولايات المتحدة التي حققت وقادت النصر في الحرب الباردة، اضحت هي القوة الأعظم في العالم التي لاتنازع ، بعد ان امسكت بأضلاع مثلث القوة العالمية ، ومن خلال استحقاقات مبدأ " فيض القوة " وانتهاج " سياسة الهيمنة " ، كان لابد لها أن تفرض استحقاقاتها بعيداً عن مبدأ قوة الحق .

كان النصر الذي حققته الولايات المتحدة في الحرب الباردة ، نتيجة تخطيط الخبراء الذين عاصروا حقبة الرئيس رونالد ريغان ، ومن ثم الرئيس بوش الاب ، والتي استمرت لمدة اثنتي عشر عاماً متوالية (١٩٨١-١٩٩٣) ، وهم من اطلق عليهم (المحافظون الجدد) .

هؤلاء الخبراء لهم برنامجهم واهدافهم التي لايخفونها ، وهم ينظرون الى منطقة الشرق الاوسط ، كمنطقة مصالح حيوية للولايات المتحدة في المقام الأول .

وكذلك كان من الضروري أيضاً ، ابقاء الغرب الاوروبي تحت المظلة الأمريكية ، فضلاً عن باقي دول اوروبا في الشرق . وهكذا أصبح حلف الناتو في عقد التسعينيات من القرن الماضي، حلفاً ضد عدو مجهول ، أو ربما قيد الاعداد : وهذا ماتم في افغانستان والعراق وليبيا .

من الملاحظ ان اوروبا شهدت تحولات جيوسياسية كبرى خلال تلك الحقبة ، لم تنعكس فوراً على المنطقة العربية ، على الرغم من قربها الجغرافي من هذه المنطقة . كما كانت حرب الكويت / ١٩٩١ حلقة في سلسلة تغيرات أرادت واشنطن فرضها على العالم ، وهي جرت باشراف مجموعة الخبراء نفسها التي رافقت حكم ريغان / بوش .

لقد كان من المؤمل ان تنسحب هذه التغيرات الاوروبية على المنطقة العربية أيضاً وعلى جوارها الاقليمي . كما كانت ادارة بوش الأب ، حريصة على انهاء ملف الصراع العربي – الاسرائيلي ، وفق صيغة مؤتمر مدريد وما كان يجب أن يترتب عليه من بناء شرق اوسطي جديد يسوده التطبيع الكامل بين العرب واسرائيل ، ومن حل نهائي للمشكلة الفلسطينية من خلال توظيف نتائج حرب الكويت وتفاعلاتها السلبية العربية.

لكن هذه الخطوات لم تتم ، وخرجت مجموعة الخبراء المذكورة من البيت الابيض . ودخل البيت الابيض طاقم جديد لايحمل الرؤية نفسها ولا الخبرة نفسها ايضاً . فكانت حقبة (كلينتون) حالة تعامل بالاضطرار ، اكثر منها مبادرات تخدم رؤية معينة .

وهكذا ساد الجمود السياسي منطقة الشرق الاوسط ، وتوقفت الحادلة الامريكية عن العمل حتى عودة (المحافظين الجدد) من جديد الى الحكم مع بوش الأبن .

ثم جاءت احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ لتنقل العالم الى صورة جديدة وسياسات جديدة. وكانت هناك اهداف كبرى لرسم صورة جديدة للشرق الاوسط ، واسقاط حكومات وتبديل أنظمة تشمل العراق وسوريا والسعودية وليبيا ومصر وايران .

ان المحافظين الجدد لم يخفوا أهدافهم تلك ، وذكروها على الملأ دون غطاء أو مواربة :

- اعلن (مايكل ليدن) وهو من المحافظين الجدد الاستفزازيين ، في اوائل سنة ٢٠٠٣ لائحة بالاهداف المرغوبة : حكومات يجب تغييرها ، تضم ايران والعراق وسوريا والسعودية بوصفها الاربع الكبار ، واضاف ثم هناك ليبيا[١].
- يقول (فرانك كارلوتشي) عضو مجلس سياسات الدفاع : " لابد من تغيير النظام في العراق بالسلاح ، وبعده في ايران وسوريا ، وبعدهما في السعودية ومصر . وفي الغالب فان ذلك ممكن بغير استعمال السلاح ، والواقع ان هذه كلها نظماً محسوبة علينا وهي تحملنا أعباء مكلفة بغير فائدة"[٢].

---

[١] ستيفان هالبروجوناثان كلارك، التفرد الامريكي: المحافظون الجدد والنظام العالمي، ترجمة عمر الايوبي، ٢٠٠٥، ص ١٣٦.

[٢] محمد حسنين هيكل ، الامبراطورية الامريكية والاغارة على العراق ، ط/٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٤١٥ .

- لورانس كابلان و وليام كريستول (من اشهر منظري المحافظين الجدد) : "ان الاستراتيجية الامريكية تتجاوز العراق بشكل جلي ... بل انها تفوق منطقة الشرق الاوسط . انها تمثل الدور الذي تعتزم الولايات المتحدة ان تلعبه في القرن الحادي والعشرين"[١].
- نائب الرئيس الامريكي ديك تشيني: " لدى الرئيس بوش ، إيماناً راسخاً بأن من شأن منح الناس الحرية والديمقراطية ان يطلق عملية تغيير في العراق لن تلبث ان تؤدي الى تغيير الشرق الاوسط"[٢].
- بول وولفووتيز : "ان تحقيق الديمقراطية في العراق ، سيلقي ظلاً واسعاً جداً ابتداء من سوريا وايران ، وايضاً عبر العالم العربي بأسره"[٣].

٢. غزو العراق واحتلاله في العام ٢٠٠٣ :

ان دول المنطقة لاسيما منها الدول العربية ، باصطفافها مع الولايات المتحدة وتقديمها الدعم اللوجستي والمساعدة في غزو العراق واحتلاله في العام ٢٠٠٣ ، قد اوقعت نفسها في ورطة مهلكة ، قادت وستقود بصورة مباشرة وغير مباشرة الى مايدور حالياً ، اذ ان النتائج غير المقصودة أخذت تسود بشكل واسع ومؤثر .

وقد كان جزء من هذا انغماس غير مقصود في التوريط . فبعد حرب العراق / ٢٠٠٣ ، ودعوات التبشير الامريكية بالديمقراطية وحقوق الانسان والاصلاح ، بادر الزعماء العرب في قمة تونس عام ٢٠٠٤ الى الاقرار بضرورة الاصلاحات والتغيير في الوطن العربي ، في محاولة لتهدئة الشعور المتنامي لدى الجماهير العربية بالغضب والمطالبة بالحرية والديمقراطية ، من جهة ، واستجابة للضغط الامريكي الداعي الى شرق اوسط جديد من جهة اخرى .

---

[١] ستيفان هالبر و جوناثان كلارك ، المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .

[٢] بوب ودورد ، خطة الهجوم ، تعريب فاضل جتكر ، ط/١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٤ ،ص ٦٠٩ .

[٣] علي عبد الامير علاوي ، احتلال العراق : ربح الحرب وخسارة السلام ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، ط/٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص ١١١ .

كما هناك ايضاً ، مبادرات دول مجموعة الثمانية ، وانشاء مايسمى بـ (منتدى المستقبل) ، والذي نصت اهدافه المعلنة على تعزيز الديمقراطية ، ومشاركة المجتمع المدني، وتنمية الاقتصاد ، وخلق الشراكة . ومن اللافت للنظر ، ان القمة السابعة لهذه الدول عقدت في قطر ، بغية اعطائها دوراً محورياً وشريكاً في اثارة الصراع وادارته في المنطقة .

ان غزو العراق واحتلاله ، قد قشط القشرة الهشة التي كانت تغطي المنطقة بأسرها ، فاطلق قوى خفية ذات بأس بعد سنوات من التهميش . وبهذا فكان احتلال العراق بوابة التغيير الاستراتيجي الكبير في الشرق الاوسط .

٣. حرب لبنان / ٢٠٠٦ :

كانت الحرب الاسرائيلية على لبنان /٢٠٠٦ بمجرياتها ونتائجها ، حداً فاصلاً ما بين قبلها وبعدها . هذه الحرب وضعت الداخل (الاسرائيلي) لأول مرة منذ انشاء اسرائيل في مأزق حقيقي ، اذ ان صواريخ المقاومة اللبنانية طالت شمالي ووسط الارض المحتلة حتى وصلت تل ابيب، مما اجبر السلطات الاسرائيلية على اخلاء اجزاء كبيرة من تلك الاراضي من سكانها أو الاضطرار الى العيش في الملاجيء .

وعلى الرغم من استخدام اسرائيل لأحدث ماموجود في جعبتها من اسلحة حديثة تدميرية لم تتورع في استخدامها ضد كل الاهداف (مدنية وعسكرية) غطت كل الساحة اللبنانية ، وبمباركة امريكية واضحة وصمت عربي مريب ، بل مندد دون استحياء بالمقاومة اللبنانية بوصفها كانت وراء اشتعال الحرب ، فان ذلك لم يستطع ان يحد من الصواريخ التي اطلقتها المقاومة اللبنانية ، وكانت في كل يوم يمضي على الحرب تطال اهدافاً جديدة ومديات أبعد .

هذه المجريات والنتائج ، افرزت بالتأكيد خططاً واستراتيجيات جديدة تهدف الى قطع الامدادات عن المقاومة اللبنانية، ولايمكن ان يتم ذلك دون احداث تغيير جذري في سوريا .

كان هدف الحرب اطلاق (الشرق الاوسط الجديد) كما صرحت بذلك وزيرة الخارجية الامريكية ورئيس وزراء اسرائيل، في عز الحرب الاسرائيلية على لبنان بدعم انكلو – امريكي ، يوم ابلغت رايس وأُولمرت ، وسائل الاعلام العالمية ان (مشروعاً لخلق شرق اوسط جديد ، قد انطلق من لبنان) . هذا الاعلان شكل تأكيداً لوجود (خريطة طريق عسكرية)

امريكيـة – اسـرائيلية – انجليزيـة في الشـرق الاوسـط . وهـو المشـروع الـذي كـان في مراحلـه التحضيرية منذ سنوات عدة ويهدف لخلق قوس من عدم الاستقرار ، والفوضى ، والعنف ، يمتد من لبنان الى سوريا والعراق والخليج وايران . ويقول البروفسور (مارك ليفين) الكاتب في مجلة نيويوركر والنيويورك تايمز ، ان المحافظين الجدد ، يرون ان التدمير الخلاق يؤدي الى خلق نظامهم العالمي الجديد[1].

٤. أحداث ايران عام ٢٠٠٩ :

عمت ايران موجة من الاحتجاجات والمظاهرات، اثر فوز الرئيس الايراني أحمدي نجاد بولاية ثانية في حزيران ٢٠٠٩ على خصمه مير حسين موسوي، متهمة الحكومة بتزوير الانتخابات والتلاعب بالأصوات.

وقد اطلقت وسائل الاعلام الغربية على تلك الاحداث اسم (الثورة الخضراء) ، موظفة وسائل التكنولوجيا الحديثة في دعم تلك الحركة .

ويبدو نتيجة فشل تلك الاحتجاجات التي اريد لها ان تكون استنساخاً لما حدث في ايران عامي ١٩٥٢ و١٩٧٨/ ١٩٧٩، وايضاً للثورات الملونة في اوربا الشرقية مابعد المرحلة السوفياتية ، فقد تم دراسة عوامل الفشل، والاستفادة من الدروس المستنبطة لاسيما في استعمال وسائل الاتصال الحديثة ، وتوظيفها لاحقاً ، من خلال ما جرى من احداث التغيير في المنطقة العربية.

في البحث عن العوامل الاقليمية ، تعد كل من المملكة العربية السعودية وقطر وجامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي وتركيا وايران ، من اهم القوى الفاعلة اقليمياً في موجة التغيير في البلدان العربية .

- المملكة العربية السعودية :

لعل من الاشياء الغريبة ، والعجيبة في الوقت نفسه ان تقف العربية السعودية مع لائحة الدول العربية والاقليمية التي ساندت التغيير في البلدان العربية . فهذه الدولة التي تعد اكثر الدول

---

[1] **د. نديم منصوري ، الثورات العربية بين المطامح والمطامع : قراءة تحليلية ، ط/١ ، منتدى المعارف ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص ص ٣٧ – ٣٨ .**

المحافظة في المنطقة والتي لاتعرف من الممارسة والسلوك الديمقراطي شيئاً ، والتي تتصدر سنوياً قائمة النقد والاستهجان العالمية لانتهاكاتها ضد حقوق الانسان لمواطنيها ، اضحت مع موجة التغيير من الدول الراعية للتغيير التي ينادي بالديمقراطية والحريات وحقوق الانسان !

ولم يكن الموقف السعودي متماثلاً على طول الخط ، فالموقف تجاه تونس وليبيا ومصر ، هو ليس الموقف نفسه تجاه سوريا ، كما انه ليس نفسه تجاه اليمن والبحرين :

في البداية ، سببت الاحداث قلقاً كبيراً لدى السعودية ، لاسيما مع سقوط اثنين من اصدقائها وحلفائها القديمين ، مبارك وبن علي . وهي كانت قلقة للغاية من ان تتسبب الاحداث باللااستقرار والفوضى ، وخشية من ان تتمدد المطالب بالديمقراطية الى شعبها . ثم ان الرياض كانت غاضبة للغاية ، لأن واشنطن لم تفعل شيئاً للوقوف الى جانب أصدقائها وحلفائها القدماء ، وشعرت بالقلق من انه على الرغم من ان الولايات المتحدة حليف يعتد به في مجالي الأمن الاقليمي ، الا انها ليست كذلك في مجال أمن الأنظمة[1] .

وكان هذا واضحاً في حالة البحرين ، اذ قادت السعودية خطوة مجلس التعاون الخليجي بارسال تعزيزات عسكرية الى البحرين (درع الجزيرة) لاخماد الانتفاضة هناك بالقوة . وفي بلدان اخرى ، قبلت السعودية على مضض بالحقائق الجديدة ، لابل قدمت العون المالي الى الحكومات الجديدة في تونس ومصر .

ثم ان قلق الرياض على الوضع في اليمن قادها الى الانضمام الى اعضاء آخرين في مجلس التعاون الخليجي في جهود وساطة ، فقد سعت ونجحت في تحقيق انتقال سلمي في اليمن، ضمن خروج الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح بسلام وحصوله على ضمان بعدم الملاحقة القانونية .

ولكن الموقف السعودي تجاه الاحداث في سوريا ، يختلف تماماً ، فهي تقف بالضد وعلناً تجاه حكم بشار الاسد . وفضلاً عن مواقفها في جامعة الدول العربية والتي تكللت بـ (

[1] بول سالم ، في : الثورة والانتقال الديمقراطي في الوطن العربي ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، ط/١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص ٩٢٩.

طرد) سوريا من الجامعة العربية ، فهي تقدم شتى المساعدات المالية والعسكرية والاعلامية لقوى التغيير في سوريا .

ان موقف السعودية تجاه احداث التغيير في المشرق العربي ، تتحكم فيه الى درجة بعيدة المواقف الطائفية ، والعلاقة مع ايران . وبطبيعة الحال ، فان الوضع في المناطق الشرقية من السعودية ، والمرتبط بالمسألة الشيعية والاحداث في مناطق اخرى من الشرق الاوسط ، يمكن ان يكون اكثر هشاشة .

- قطر :

مرة اخرى فان دولة – المدينة هذه التي لاتعرف الى الديمقراطية منهجاً أو سلوكاً ، تتصدر الاحداث، لتكون من بين اللاعبين الاكثر نفوذاً في حركة التغيير . ولقد ساعدت قناة (الجزيرة) التي تبث من قطر ، بتغطيتها المكثفة والموجهة وذات التقنيات العالية والحضور المميز ، ان تغطي الاحداث بتواصل يمتد من تونس الى مصر وليبيا واليمن وسورية والبحرين . وفضلاً عن قناة الجزيرة ، كانت قطر مرة اخرى اساسية في العمل السياسي ، واستطاعت (بجدارة) ان تنتزع قيادة العمل العربي من العراق بوصفه رئيساً للجامعة العربية ، وأن تجعل دول مجلس التعاون الخليجي وجامعة الدول العربية تؤدي أدواراً نشطة وفاعلة تخدم الاهداف المرسومة لقطر . وهكذا كان دور قطر اساسياً في الاطاحة بالقذافي ، وفي الدعوة الى اقامة منطقة حظر طيران في ليبيا، وقد ارسلت قطر (وتبعتها دولة الامارات) طائرات حربية للمشاركة في عمليات الناتو في ليبيا عندما امتنعت الدول العربية الاخرى ، كما ارسلت الاسلحة لـ (ثوار) ليبيا للمساعدة في الاطاحة بالقذافي ، بما في ذلك الجماعات الاسلامية .

ولا زال دور قطر اساسياً في التحشيد والدعم وزيادة الضغط ضد نظام بشار الأسد في سوريا . وقطر التي تقوم بكل هذه الادوار التي لاتتناسب أبداً مع مساحتها الصغيرة وتعدادها السكاني القليل ، والتي تتمتع بعلاقات متميزة مع اسرائيل ، تدرك تماماً – وهذا الشيء المثير للاهتمام – بأن أمنها مؤمن من خلال القيادة المركزية الامريكية ووجود القوات الجوية الامريكية في قاعدة العديد على أراضيها ، كما ان مستقبلها الاقتصادي مؤمن ايضاً بواسطة احتياطياتها الضخمة من الغاز .

ان قطر التي كانت لها علاقات جيدة في السابق مع سوريا وايران ، لايمكن ان تنتهج كل هذه السياسة النشطة ، لمجرد كسب الهيبة والاعتراف بالمكانة .

- تركيا :

كانت تركيا قد طرحت سياسة (تصفير المشكلات) مع دول المنطقة ، بما يعني بناء علاقات جيدة معها . كما انها طورت مصالح اقتصادية واستثمارات كبرى في عدد من الدول العربية ، بينها العراق وسوريا وليبيا .

لا اختلاف في ان المصالح وليست المبادىء هي التي تتحكم أخيراً في العلاقات بين الدول ، وهذا هو ماطبع سياسة تركيا تجاه ليبيا عند بدء الاحداث، اذ ان رئيس الوزراء التركي (اردوغان) الذي كان من بين أول من طالبوا مبارك بالتنحي ، وقف الى جانب نظام القذافي مدة اطول بكثير من قادة آخرين في الغرب والمنطقة ، اذ كانت لتركيا مصالح تجارية تقدر بأكثر من (٢٠) مليار دولار ونحو (٢٥) الف عامل تركي في ليبيا[١].

أما تجاه سوريا ، فقد كانت حركة السياسة التركية بطيئة أيضاً، فأردوغان كان يقيم علاقة شخصية وثيقة مع بشار الأسد. وقد أقامت تركيا منطقة تجارة حرة مع سوريا ولبنان والاردن، وأطلت على سوريا بوصفها بوابتها السياسية والاقتصادية الرئيسة الى المشرق العربي .

وانطلاقاً من حسابات خاصة تسيطر على اردوغان نتيجة توجهاته السياسية الاسلامية التي قد تتماهى مع توجهات بعض قوى المعارضة السورية ، فضلاً عن السياسات التي تبناها علناً وزير خارجيته (داود اوغلو) المتعلقة ببعث العثمنة الجديدة ، فقد تأزمت العلاقة بسرعة بين تركيا وسوريا ، ووصلت الى حد العداء العلني . فقد استضافت تركيا المعارضة السورية ، وقدمت دعماً كبيراً للجيش السوري الحر ، كما قامت بالموافقة على نصب بطاريات باتريوت تابعة لحلف الناتو على اراضيها المحاددة لسوريا، في خطوة قد تؤدي الى انشاء منطقة حظر طيران في شمالي سوريا، بما يعني تدخلاً عسكرياً غربياً مباشراً في سوريا .

---

[١] المصدر نفسه، ص٩٢٧.

تطمح تركيا من خلال هذا التدخل المباشر وغير المباشر في المنطقة الى اقامة نظام سياسي ديمقراطي مع حزب اسلامي معتدل في السلطة – مشابه لما موجود فيها – يهدف الى اقامة علاقات طيبة اقليمياً ودولياً .

ان موقف تركيا يمثل حالة خاصة ، طموحة اكثر من قدراتها . فتركيا مازالت تبحث عن هوية في الداخل ، وتوجهاتها الخارجية تمثل انقلاباً في سياستها التي اختطتها منذ نهاية الحرب العالمية الاولى (السلم في الداخل والسلم في الخارج) ، اذ ان تركيا تتبع حالياً سياسات مركبة قابلة للتحول في اكثر من اتجاه معتمدة على اقتصادها المتنامي بوتائر عالية ، والذي قد ينتكس بقوة نتيجة تداعيات التغيير في سوريا ، والعلاقات المتوترة مع العراق .

وفي حين ان النظام علماني في تركيا ، غير ان سلوكيات حزب العدالة والتنمية تختزن قدراً كبيراً من النزعة المذهبية ، وهو ماظهر بقوة في الحالة السورية والدول التي تساند نظام الاسد.

ان تركيا تحاول ان تكون اللاعب الوحيد في المنطقة ، ومن ثم زعيمة لها من خلال ضرب أحد الركائز الاساسية للنفوذ الايراني في المنطقة ، أي سوريا. وفي ذلك خطر استثارة النزعة المذهبية من جهة ، وضرب رابطة العروبة من جهة اخرى ، لصالح نزعة عثمانية تتكرر في خطاب حزب العدالة والتنمية التركي الذي يأمل ان يكون وصول الاسلاميين الى السلطة ركيزة لمضاعفة نفوذه في المنطقة العربية .

- ايران :

يبدو ان مقولة (الهلال الشيعي) كان لها نصيب من الصحة على ارض الواقع . فكان لايران شكلاً من اشكال التأثير (السياسي او الاقتصادي أو العسكري) يمتد على شكل قوس من النفوذ يمتد من طهران الى العراق وسوريا ولبنان وغزة .

ومع بدء أحداث التغيير في بعض البلدان العربية ، رحبت ايران بهذه التطورات ، واصفة اياها بأنها يقظة اسلامية ، وجادلت بانها امتداد لثورتها الاسلامية .

ولكن تطورات الاحداث، اوضحت ان للرأي العام العربي اولويات تتعلق بالحريات العامة والديمقراطية وحقوق الانسان، لاتحدي الغرب .

وكان التأثير التركي ونموذج النظام فيها أقوى تأثيراً من النموذج الايراني .

وكانت الانعطافة الكبرى في مواقف ايران ، هو تطور الاحداث في سوريا ، اذ ان ايران تعد سوريا حليفاً استراتيجيا لها وركيزة اساس في سياستها في المنطقة ، وكذلك هو الموقف تجاه حزب الله في لبنان .

كما ان الاحزاب الاسلامية التي برزت بعد التغيير ، هي حركات سنية لا رابطة لها مع ايران الشيعية، وتلك الاحزاب تتمتع بروابط قوية مع السعودية وقطر وتركيا ، وحتى حركة حماس في غزة . أصبحت أقرب الى مصر وتركيا ومجلس التعاون الخليجي .

ان ايران تراهن بقوة على نظام بشار الأسد الحاكم في سوريا ، وان سقوط النظام الحالي في سوريا سيعني ان ايران ستمنى بأضخم خسارة في المنطقة ، اذ انها سوف لن تخسر سوريا وحسب ، بل أيضاً جسرها الاستراتيجي الى حزب الله في لبنان ، وموقعها في حلبة الصراع العربي – الاسرائيلي .

وفي مايتعلق بأحداث البحرين ، قدمت ايران دعماً سياسياً ومعنوياً للمحتجين ، ولكنها بدت غير قادرة ، اذ انها لم تستطع ان تمنع أو تردع التدخل العسكري لمجلس التعاون الخليجي في البحرين ، الذي جاء في ظل وجود عسكري امريكي متميز في البحرين ومنطقة الخليج .

- جامعة الدول العربية

ظلت جامعة الدول العربية منذ تأسيسها حبيسة النظام السياسي العربي ، ولم تستطع ان تخرج عن ذلك لجملة اسباب تتعلق بذلك ، فضلاً عن تبعيتها غير المباشرة للدولة المضيفة (مصر) ، وحكم كون أمين الجامعة مصرياً . وقد انعكس ذلك على موقفها من حركة التغيير لاسيما في مصر .

ولكن بسبب الحراك القطري المتسارع ، وتجاوب الامارات والسعودية مع ذلك ، فكان للجامعة العربية موقفاً آخر تجاه النظام الحاكم في سوريا – رغم تحفظ العراق والجزائر ولبنان – ادى الى منع الحكومة السورية الحالية من شغل موقعها الدائم في الجامعة ، ومن ثم اعطائه الى ممثل المعارضة .

وليس من الواضح لحد الآن ، ما اذا كان هذا التوافق والتعاون الخليجي – المصري نمطاً مستقبلياً ثابتاً، أو ظاهرة عابرة في هذه المرحلة . فقد تنشأ تناقضات بين انظمة عربية ذهبت باتجاه الديمقراطية ، واخرى ماتزال ملكية محافظة ، كما ان ضعف موقف العراق العربي ، ودخول سورية في ازمة طويلة قد يضعف الصف العربي[1] .

المبحث الثالث : العوامل الدولية

ان الاستراتيجيات الغربية ، وهي التي ترصد حركة التغيير في المنطقة ، ما انفكت ترسم الخطط وتحاول الاستفادة من كل تحرك شعبي وتوظيفه خدمة لمصالحها .

وفي هذا فقد استعملت الكثير من الخطط ، ووظفتها لمصالحها . وفي أدناه عرض سريع لذلك بما يسمح به مجال هذه الدراسة[2]:

١. الفوضى الخلاقة : وقد ظهر هذا المصطلح جلياً في مسرح التداول السياسي والاعلامي والتطبيقي بعد الغزو الامريكي للعراق / ٢٠٠٣ .
٢. الفتنة السنية – الشيعية: المنجل الوهابي مقابل الهلال الشيعي .
٣. الاستعمار الالكتروني:السيطرة الاعلامية المتجسدة بالاعلام الالكتروني الحديث ثقافياً واقتصادياً وعلمياً وعسكرياً وتكنولوجياً ، من خلال :

أ. القوة الناعمة دون الاستغناء عن القوة الخشنة . وتوظيف الاعلام الى قوة ناعمة قادرة على تجسيد الافكار والقيم والمعايير والقوانين والاخلاق بالصورة الملائمة لعصر تتزاوج فيه (سياسة المعرفة) مع (عصر الاتصالات) .

ب. الأمن الالكتروني : الشبكة الالكترونية التي تعتمد عليها مجالات اقتصادية عدة وحساسة من شبكات النقل والرحلات الجوية ووسائل النقل العام وشبكات النفط والغاز والكهرباء والماء ...

ج. التجسس الالكتروني : الاقمار الصناعية ، تسجيل المكالمات ، التجسس على الهواتف النقالة ، التجسس على الفيسبوك ...

[1] المصدر نفسه، ص٩٣٥.

[2] لمزيد من التفاصيل ، ينظر : د. نديم منصوري ، المصدر السابق .

٤. تدريب مجموعات شبابية على تكتيكات اللاعنف .

٥. تمويل بعض الحركات الشبابية عن طريق منظمات تصف نفسها بانها غير ربحية وغير سياسية، وانها تعمل على تنمية الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان ...

٦. استعمال المساعدات العسكرية للضغط من اجل تحييد العسكريين .

٧. فرض عقوبات سياسية واقتصادية على رموز سياسية معينة ، والتهديد بمحاكمتها دولياً .

٨. مبادرة الشراكة مع الشرق الاوسط : وهي الأهم والأخطر والأكثر فعالية . وتمثل تفاعل حكومة الولايات المتحدة مع اصوات التغيير في منطقة الشرق الاوسط وشمالي افريقيا . فهذه المبادرة الرئاسية التي رأت النور في العام ٢٠٠٢ بتمويل من الكونجرس ومساندة الحزبين الجمهوري والديمقراطي ، تعمل على توفير الموارد والتجارب ، وعلى تأكيد عزم الولايات المتحدة على تعزيز الاصلاح في جميع انحاء المنطقة . وقد اتخذت لها مقرين في تونس وابو ظبي .

في هذا المبحث ، سنتطرق الى دراسة ثلاث من القوى الدولية الفاعلة في مشهد التغيير العربي ، وهي الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد الاوروبي ، وروسيا الاتحادية :

١. الولايات المتحدة الامريكية :

مازالت الولايات المتحدة تعاني كثيراً من تداعيات حربها في العراق ، على الصعيدين العالمي والمحلي ، وفي كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاخلاقية . هذه المتغيرات أدت بالولايات المتحدة الى مرحلة من الانكفاء نحو الداخل ، لاسيما بعد تسنم " اوباما " مقاليد الرئاسة وقراره باكمال سحب القوات العسكرية من العراق . ولكن هذا لايعني وقوف الولايات المتحدة ، موقف المتفرج مما يجري على الساحة العربية ، أو لامبالاتها بما يحدث . وقد انعكس هذا المتغير والموقف على السياسة الامريكية تجاه التغيير الذي جرى ويجري في المنطقة العربية .

من المعروف ، ان واشنطن أضحت وبفعل التغيرات الكبرى التي شهدتها الساحة الدولية، وقبل ذلك بعد أن اصبحت قطباً أعظم تدور في فلكه السياسة العالمية ، لاسيما بعد قرار بريطانيا الانسحاب من شرق السويس، أصبحت هي المكان الذي تدور منه عادة المعارك

من اجل الشرق الاوسط : حيث اسرائيل ، والنفط ، والموقع ، والممرات المائية ، والاصولية الاسلامية ، والعداء المتأصل ، والنزاعات المستمرة وحالة عدم الاستقرار...

وهكذا ، يبدو ان هذه السياسات ومتغيراتها ، جعلت من الاحداث التي عصفت بالعالم العربي باتساعها وعنفوانها ، مفاجأة للولايات المتحدة لاسيما في مصر ، مركز وقاعدة العالم العربي بثقلها السكاني والاجتماعي والعسكري والثقافي . ان الولايات المتحدة التي اخرجت مصر من دائرة الصراع العربي – الاسرائيلي ، بانجازها لاتفاقية كامب – ديفيد ، وساندت بقوة رموز المرحلة الجديدة الذين التزموا بالاستمرار في ذلك النهج ، وكانت وراء الدفع بسياسة الانفتاح الاقتصادي الذي خلق طبقة فاسدة سياسية / اقتصادية / اجتماعية مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالحكم القائم ، يهمها دائماً الحفاظ على مصالحها المرتبطة بالأمن القومي الامريكي ، وفي مقدمتها أمن اسرائيل ، وتأمين الحصول على النفط وأمن مساراته .

ولكن سرعان ما تبين ان توجهات الأحداث وشعاراتها ، كانت تركز على شؤون الوضع الداخلي والاصلاح السياسي والاجتماعي – الاقتصادي ، وهذا ما أكـده الرئيس " اوباما " في خطاب له في التاسع عشر من ايلول ٢٠١١ ، اذ قال : " بان ماحرك الثورات العربية ، على الاقل في جزء منها ، هو الحيف الاقتصادي"[١] .

بالتأكيد ان قيام (ثورة ٢٥ يناير) في مصر ، والقضاء على اركان نظام مبارك ، قد قلص – الى حين – عامل التأثير السياسي الذي كانت تتمتع به الولايات المتحدة وأدى الى تراجعه .

ان الدور الأمريكي (الهادىء) في مرحلة ما بعد التغيير في مصر ، يبدو واقعياً وعملياً من وجهة نظر البعض في ظل التطورات الداخلية والخارجية التي تعيشها الولايات المتحدة ، على الرغم من كونه مغايراً لطبيعة السياسة الامريكية في مرحلة مابعد الحرب الباردة ، التي قامت على التفرد والهيمنة في ادارة معظم الملفات العالمية والاقليمية ، لاسيما في المنطقة العربية[٢] .

---

[١] الرئيس باراك اوباما ، ملاحظات حول الشرق الاوسط وشمالي افريقيا (خطاب ، واشنطن دي سي ، ١٩ أيار ٢٠١١) :
www. White house, gov / the press– office / 2011/05/19

[٢] ديفيد اجناشيوس ، صحيفة الشرق ، القاهرة ، ٧ أيلول ٢٠١١.

وفي اطار تقويمي لهذا الدور يرى "روبرت ساتلوف" مدير معهد واشنطن لسياسات الشرق الادنى، ان الولايات المتحدة لعبت دوراً مهماً في دعم المرحلة الاولى من التحول في مصر الذي كان سلمياً نسبياً[1] . وتشير دراسة لـ(معهد بروكنجز للبحوث السياسية) في واشنطن، بعنوان (الصحوة العربية)، الى ان انهيار الانظمة الاستبدادية ومنها مصر، سوف يؤدي الى تحول في خريطة النفوذ السياسي الجغرافي للمنطقة، بشكل مماثل للنتائج التي ترتبت على سقوط جدار برلين عام ١٩٩٠. وتقرر الدراسة ، ان الاحداث جاءت مفاجئة ومباغتة ، وهي تؤشر :

١. ان سقوط الانظمة الدكتاتورية في المنطقة ، يشكل الآن الموجة الرابعة للديمقراطية التي ابتدأت الاولى منها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ .

٢. ان النظام في مصر قد ترنح على حافة السقوط بعد ٢٥ يناير ٢٠١١ ، لكن النظام كاملاً لم يسقط بعد .

٣. ان مصر هي دولة المركز في العالم العربي ، وان مركز موجة الديمقراطية الجديدة سيكون مصر .

ان الشيء المهم بالنسبة للولايات المتحدة من انعكاسات أحداث التغيير في مصر ، انها ذات اهداف محلية ركزت بشكل رئيس على قضايا الحريات والاصلاح الداخليين ، وليس على قضايا السياسة الخارجية ، اذ لا انقلاب حتى الآن في علاقات مصر الاقليمية أو الدولية .

والذي يلاحظ ان الالولايات المتحدة ، استعملت بشكل مؤثر نفوذها (القوي) في الجيش المصري ، أولاً بتشجيع الجيش على الضغط على الرئيس حسني مبارك على التنحي ، ومن ثم قيام المجلس الاعلى للقوات المسلحة ، بالاعلان بأنه يضمن لاسرائيل والمجتمع الدولي احترام مصر ما بعد مبارك لالتزاماتها الاقليمية والدولية ، وحثه ايضا على الوفاء بوعوده لادارة عملية انتقال منظمة الى الديمقراطية .

وفي تونس ، بقيت واشنطن صامتة في أول الأمر ، ولكن مع رحيل بن علي ، ارسل اوباما مباشرة رسالة الى الشعب التونسي مهنئاً على ثورته ، وداعماً للتحول نحو الديمقراطية ،

[1] د. عصام عبد الشافي ، الدور الدولي : تراجع الدور الامريكي في البيئة الاستراتيجية الجديدة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٨٦) ، القاهرة ، اكتوبر ٢٠١١ ، ص ٩٥ .

وفي البحرين ، كانت واشنطن في مأزق ، لأن الاسطول الخامس الامريكي يتمركز في البحرين ، ومع ذلك فقد جادلت واشنطن في ان التفاوض والحلول الوسط والإصلاح تمثل أفضل السبل لإعادة الاستقرار ، في حين رأت السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي اللجوء الى القوة لسحق الانتفاضة ، وهذا ما حدث بإرسال قوة درع الخليج الى البحرين .

اما في اليمن ، فقد طغت المخاوف الأمنية على الامور الاخرى ، اذ ان الولايات المتحدة كانت قد استثمرت الكثير في دعم الرئيس علي عبد الله صالح وجهازه الأمني ، بوصفه ركيزة ضد انتشار تنظيم القاعدة في البلاد . وبسبب الطبيعة القبلية للمجتمع اليمني والصراع بين الشمال والجنوب ، فان الولايات المتحدة كانت تخشى ان تنزلق اليمن نحو المزيد من الفوضى وانهيار الدولة وتفككها . وكانت تتقاسم هذه الرؤية مع السعودية وبقية دول مجلس التعاون التي نجحت في ايجاد صيغة للاتفاق الانتقالي .

اما ما يتعلق بسوريا ، فكان مأزق الولايات المتحدة كبيراً ، فسوريا تحادد (اسرائيل) ومازالت في حالة حرب معها ، وتربط سوريا علاقات وثيقة جداً مع ايران وحزب الله في لبنان ، كما انها تتمتع بوضع خاص مع روسيا الاتحادية على صعد العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية والتسليح .

وهي في الوقت الذي لا تشعر فيه بالأسف على رحيل نظام الأسد ، فأنها تخشى من العواقب والبدائل ، ولاسيما ان لتنظيم القاعدة دوراً فاعلاً في المواجهة العسكرية من النظام وهو يتمتع بقوة واسناد على صعيدي العدة والتسليح .

ان انهيار النظام في سوريا ، قد يفتح المنطقة على المجهول ، ويقوض كل تلك الجهود المبذولة لمكافحة الارهاب ، كما انه يحمل في طياته فوضى عارمة قد تؤدي الى نشوب حرب طائفية في المنطقة ، وتدخل دول اقليمية على نطاق واسع .

ان تداعيات حرب العراق مازالت عالقة في التفكير الاستراتيجي الامريكي ، فالولايات المتحدة لاترغب في التدخل العسكري المباشر في سوريا ، وهي ما زالت حتى الآن غير راغبة في النظر في المشاركة ، او قيادة اية مبادرة عسكرية لفرض حظر طيران أو ممرات آمنة او تدخلات في سوريا .

ان استمرار القتال الطاحن في سوريا ، وما يؤديه الى قتل وفوضى وتدمير للبنى التحتية الاقتصادية والصناعية ، وتفكيك وتدمير الجيش السوري وسلاحه وصناعته العسكرية ، هو هدف استراتيجي لاسرائيل ، سيخرج سوريا – وكما حصل في العراق – من دائرة الصراع العربي – الاسرائيلي الى أمد غير منظور ، وهذا ماسينعكس بالطبع سلباً على حزب الله وايران ، وهذا مايبدو بحد ذاته هدفاً مشتركاً لكل من الولايات المتحدة واسرائيل واطراف اقليمية اخرى .

٢. الاتحاد الاوروبي :

سنبحث هنا في مواقف دول اوروبا (المملكة المتحدة ، فرنسا ، ايطاليا) من التغيير في ليبيا وسوريا.

يمثل موقف تلك الدول من حركة التغيير التي جرت في ليبيا وتلك التي تجري في سوريا ، قمة الانتهازية والتغيير في المواقف تبعاً للمصالح .

لقد سبق وان بنت الدول الاوروبية علاقات قوية مع الانظمة السلطوية في شمالي افريقيا. وكانت لها علاقات قوية مع ليبيا ، لاسيما بعد تجاوز أزمة لوكربي . وكان لزاما عليها ان تتحرك بسرعة لتكييف سياساتها مع الواقع الجديد ، اذ ان الاتحاد الاوروبي كان قد عقد اتفاقيات شراكة مع كل من تونس ومصر ، وشمل ليبيا ايضاً في سياسة الجوار الاوروبي .

وعندما بدأت الاحداث في ليبيا ، أخذ الرئيس الفرنسي ساركوزي زمام المبادرة في الدعوة الى فرض عقوبات ومنطقة حظر طيران ضد قوات القذافي . وقد تعاونت فرنسا والمملكة المتحدة بشكل وثيق في دفع حلف الناتو الى تنفيذ منطقة حظر الطيران . وفي الواقع كانت هناك منافسة شديدة بين ايطاليا وفرنسا والمملكة المتحدة على الادوار المستقبلية في ليبيا ، وحصصها في عملية اعادة الاعمار والنفط[١].

لقد كانت ايطاليا بطيئة في ردود فعلها تجاه أحداث ليبيا ، اذ ان رئيس وزرائها برلسكوني الذي كان قد استضاف القذافي في ايطاليا في تشرين الثاني ٢٠٠٩ ، وتعرض الى

[١] بول سالم ، مستقبل النظام العربي والمواقف الاقليمية والدولية من الثورة ، المستقبل العربي ، العدد ٣٩٨ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، نيسان ٢٠١٢ ، ص ١٥١ .

انتقادات قاسية بسبب تقبيله يد القذافي على هامش اجتماع القمة العربية – الافريقية في طرابلس من العام نفسه ، كان غارقاً في المشكلات السياسية والاقتصادية الايطالية .

اما في سوريا ، فمن المعروف ان الرئيس الفرنسي ساركوزي كان على علاقات وثيقة مع الرئيس بشار الاسد ، وعمل جاهداً على اخراجه من عزلته في العامين ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩ . ولكنه كان ايضاً من بين اوائل الزعماء الاوروبيين الذين ادانوا الرئيس السوري . ولقد انضمت اوروبا الى الولايات المتحدة في فرضها عقوبات على سوريا . وقام حلف الناتو بنصب بطاريات صواريخ مضادة على الاراضي التركية . وتقوم بريطانيا وفرنسا بجهد محموم لتسليح المعارضة السورية ، ولكنها تتخوف أيضاً من تداعيات الموقف على المستقبل السوري . ويميل موقف الاتحاد الاوروبي الى التحفظ وعدم الاندفاع بقوة في الشأن السوري ، محاولاً كبح جماح موقف كل من بريطانيا وفرنسا واعطاء المجال لما تم الاتفاق عليه في جنيف بشأن الانتقال السلمي للسلطة في سوريا والذي حظي بدعم كل من الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية .

وبصورة عامة ، فان موقف الدول الفاعلة في الاتحاد الاوروبي تجاه أحداث التغيير في البلدان العربية ، يكشف الامور الآتية[١]:

أ. كانت ردود الفعل الاوروبية متباينة وغير متزنة ، لاسيما في بداية وقوع الاحداث ، نظراً لفجائية الاحداث وتسارعها وصدمتها.

ب. كانت ردود الفعل الاوروبية قلقة ، خشية ان تتسبب الاحداث في ارتفاع مطرد في اسعار النفط، أوحصول تغييرات ليست في صالحها ، أو وصول عدوى الاحتجاجات الى بلدانها.

ج. اتسمت ردود الافعال الاوروبية تجاه الاحداث ، بالانتهازية وازدواجية المعايير .

٣. روسيا الاتحادية :

اتسم الموقف الروسي تجاه حركة التغيير العربية ، بالتردد والارتباك والحذر المبني على اسس غير محكومة بضوابط محددة . فهو قد انتهج موقفاً معارضاً للتغيير وداعماً للانظمة القائمة ، اعتقاداً بقدرتها على تجاوز الأزمة ، وعندما تنتهي الاوضاع بسقوط تلك الانظمة ، يبادر الى الاعتراف بالبديل ، وهو ما اتضح جلياً في الحالة المصرية .

---

[١] د. عصام عبد الشافي ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

ان روسيا ، تنظر بعين الريبة الى مايجري ، كما انتقدت عمليات الاطلسي ضد نظام القذافي ، ووصفتها بانها قد تجاوزت مهمتها حسب قرار مجلس الأمن لحماية المدنيين ، في حين وصف رئيس الوزراء آنذاك بوتين ، الحملة العسكرية لحلف الاطلسي بأنها " حرب صليبية"[١].

والذي يهمنا في هذه الدراسة هو الموقف الروسي من الأحداث الجارية في سوريا :

تنظر روسيا الى سوريا بوصفها مفتاح المنطقة وليس العراق . وان التغيير الجيوسياسي لم يتحقق في الشرق الاوسط عبر بغداد كما توقعت ادارة بوش الابن ، فهذا التغيير يحصل فقط من البوابة الدمشقية . وهذه الرؤية قد تكون خلف ظنون موسكو بأن القضية السورية هي فرصتها الوحيدة لاستعادة دورها الاقليمي في الشرق الاوسط وشمالي افريقيا[٢].

ان لروسيا علاقات أمنية خاصة مع سوريا ، كما انها تملك قاعدتها البحرية المتوسطية الوحيدة (في طرطوس) ، وللبلدين علاقات واسعة من خلال قطاعات الطاقة ، والتعاون العسكري ، والتعاون التقني في المجالات الصناعية والتنموية ، والاستثمار ...

وقفت روسيا الاتحادية بقوة الى جانب الرئيس بشار الاسد ، وهي بعد استعمالها ومعها الصين لحق النقض في مجلس الأمن ضد قرارات تتعلق بالاوضاع في سوريا ، بدأت تتكشف جدية الصراع الدولي حول سوريا الذي تحول الى صراع دولي بامتياز ، فتكون شكل من اشكال الانقسام بين الدول التي تختلف في تقويمها لما يجري .

ويرجح البعض الموقف الروسي من الازمة السورية الى الاتي[٣]:

أ. ان موسكو تعتقد حقاً ان واشنطن وحلفائها الغربيين اساؤوا فهم مايجري في سوريا . فروسيا تخشى ان يكون البديل بروز نظام اسلامي راديكالي لن يكون معادياً للغرب فقط بل لروسيا ايضاً. وهي تذكر بما حدث من فوضى في افغانستان والعراق وليبيا.

---

[١] **سعد محيو ، روسيا والربيع العربي : الثوابت والمتغيرات ، المستقبل العربي ، العدد (٤٠٥) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، تشرين الثاني ، ٢٠١٢ ، ص ١٢٢ .**

[٢] **د. ناصر زيدان ، دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، ط/١ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٢٩٦ .**

[3] **Mark N. Katz, Russia and the Arab Spring, Middle East Institute, 3 April 2012.**

ب. ان روسيا لاتعتقد ان الادارات الامريكية مهتمة حقاً باسقاط النظام في سوريا ، وذلك يعود اساساً الى المضاعفات السلبية التي قد تلقي بظلالها على اسرائيل اذا ما سقط النظام .

ج. ان روسيا ترى ان الحافز الاساس لاسقاط النظام السوري يأتي من السعودية وقطر .

ان روسيا تخشى بقوة من ان سقوط سوريا ، سيؤدي الى انتشار الاسلام السني الراديكالي في الشيشان وشمال القوقاز وبقية الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفياتي السابق ، والتي مازالت تشكل منطقة البطن الرخو لروسيا الاتحادية .

ان روسيا الاتحادية في دعمها للنظام القائم في سوريا (وهو آخر معاقل المشروع القومي العربي المتحالف معها)، لاتدعم سوريا من اجل الحفاظ على عقود التسلح واستثمارات النفط، والقاعدة البحرية في طرطوس فقط، بل ان ذلك يتعلق بصلب متطلبات الأمن القومي الروسي ، لانها تخشى ان تنتقل سوريا من كونها حليفاً لها الى أن تكون حليفة لواشنطن . كما ان سقوط نظام الاسد سيزيل عقبة مهمة في وجه الحركة الاصولية السنية بقيادة السعودية التي تسعى لمواصلة الانتشار .

كما ان تأكيد روسيا على الحوار لحل الازمة السورية ، وعدم موافقتها بأي ثمن على سقوط الاسد عسكرياً دون التفاوض معها ، يبرز خفايا السياسة الروسية في استثمار الملف السوري في سياق صراعها مع الغرب ، ومحاولة العودة الى نظام عالمي متعدد الاقطاب تكون روسيا الاتحادية جزءاً فاعلاً فيه .

الخاتمة :

كان من اهم تداعيات التغيير في البلدان العربية على الساحة الدولية ، انها أفرزت ولادة تغيير في سياسات وتوجهات معظم القوى الكبرى المهتمة بالمنطقة ، مع ماسيرافق ذلك من ولادة قواعد لعبة جديدة ، ولاعبين جدد بأدوار جديدة . لقد تباينت ردود فعل هذه القوى على تلك الأحداث، بعدما كانت الاسرة الدولية تنعم بتقسيم ادوار وتقاسم مصالح شبه مستقرة ، في اطار مؤسسات التعاون والتشاور بينها. وقد انعكس هذا التباين على مجلس الامن الذي أصيب بـ(الشلل) لأول مرة منذ نهاية الحرب الباردة، بعد تفجر الأزمة في سوريا .

هل سيدفع ذلك الى الاستنتاج ، بأن النظام العالمي الجديد ذو التعددية القطبية سيبرز الى الوجود بالفعل، نتيجة هذه الاحداث ؟ لاتزال الاجابة صعبة ومعقدة على مثل هذا الاستنتاج ، فروسيا والصين مازالتا تعملان معاً على مجرد تحسين مواقعهما في النظام الحالي .

مازال الامر يحتاج الى وقت لتقديم حكم أقرب الى الدقة ، كما ان المعيار الحقيقي للتغيير لايتم عبر الاطاحة بالانظمة الحاكمة ، بل بمدى مايمكن انجازه من عملية التغيير ...

في الخلاصة ، لم يؤثر التغيير في البلدان العربية بشكل كبير في مصالح ونفوذ الغرب والولايات المتحدة في المنطقة .. اذ ان مصر وتونس مازالتا على علاقات جيدة مع الولايات المتحدة ، وظلت البحرين في حظيرة دول مجلس التعاون الخليجي ، واكتسبت الولايات المتحدة نفوذاً في ليبيا ، وهي مرشحة لأن تكسب نفوذاً اذا وصل التغيير الى سوريا . ومايزال اليمن ، مصدر قلق كبير في ما يتعلق بانهيار الدولة ، وانتشار اوسع لتنظيم القاعدة .

أما أثر هذا التغيير على العراق ، فسيكون كبيراً وربما سلبياً أيضاً اذا ماوصل التغيير الى سوريا وفق القوى الفاعلة فيه حالياً . فالعراق هو احد اهم جيران سوريا ، وهو صاحب أحد أطول حدود معها ، وقد عانى العراق طويلاً طيلة العقد الماضي من السياسات والممارسات السورية التي سهلت دخول الإرهابيين والقاعدة الى العراق ، وبعد ان نجح العراق في تحسين علاقاته مع سوريا تعود مخاطر تلك التهديدات لتبرز وتبشر بحرب طائفية أشد ضراوة ومن جديد على الساحة العراقية ، في ظل تحشد طائفي / سياسي متعدد الوجوه والمقاصد ، سيكون خطيراً وذا تداعيات بعيدة المدى ، لاسيما ان تأثيرات غزو العراق واحتلاله مازالت فاعلة في الجسد العراقي .

ويبدو من خلال هذه الدراسة ، انه كانت هناك ملامح خطط ودراسات غربية معدة مسبقاً لاحتواء حركة التغيير في البلدان العربية بما يهدف استمرار المصالح الغربية في المنطقة وبقائها تحت مظلة جديدة تتوائم مع طبيعة الأهداف الثابتة للغرب في المنطقة .

The Change in the Arab Region and Its Reflections: The External Factors

Instructor :Talib Hussein Hafedh

Abstract

The change which has happened in the Arab Region after 2010, was radical and unexpected.

That change was under the look and notification of the major powers and public opinion around the world.

This search studies the outside factors which led to that change, the name of (Arab Spring), in addition to the internal factors.

The study notices that the position of the western powers was unchanged.

Also, it deals with reflections of the change especially what are happening in Syria on lraq, which will be very dangerous.

دراســــــــ